سؤال القدر

د. جاسم سلطان

4nahda.com

القدر سؤال محير اختلف فيه الناس بحسب ما قرأوه من نصوص فمال بعضهم للجبر ومال بعضهم للتخيير والسؤال الذي يطرحه العقل : إن كان كل شئ مكتوب ازلا لا يتغير ولا يتبدل فما قيمة الاختيار وقد صممنا لدخول النار او الجنة ابتداء ؟

ويبدأ الانسان في الاستنتاج ليسأل : لماذا الرسالات ؟ ولماذا ؟ الرسل ؟ وعلى ماذا الحساب؟ وما قيمة الجهد في الدنيا؟

وحين يجاب عليه : ولكنك لاتعلم من اي الفريقين انت..فاعمل لعلك تكون من الفريق الناجي ؟ يجيب ما قيمة ان اعلم او لا اعلم فالنتيجة مقررة سلفا لا يغير فيها عمل؟

تلك حيرة الانسان أمام موضوع القدر!

فهل يمكن ايجاد نظرية توازن بين مدلولات النصوص وتريح العقل من بعض اسئلته ؟ ولماذا نحتاجها؟

إن فاعلية الانسان في الارض مرتبطة بشعوره بقيمة العمل الذي يقوم به ولو انفكت العلاقة بين الجهد والنتيجة فشعر الانسان ان جهده واتقانه لا علاقة له بالنتيجة لاختل نظام الكون وفسدت الارض! فعندها يكفي اي نوع من العمل بل ربما جاز التوقف عن العمل كلية فكل شئ سيحدث لانه مقدر له ان يحدث!

مقدمة النظرية:

الواضح البين:

الناظرلكل القرآن دون الدخول في التفصيلات سيجد ان مراد الشارع تذكير الانسان بثلاثة اشياء كبرة تشكل مرتكزات طاولة الفعل الانساني ان جاز العبير وهي (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) :

- الله الواحد
- اليوم ألاخر الذي تحسب فيه الاعمال
- العمل الصالح في الدنيا محسوب بدقة

ولبيان ذلكوتفصيله جاء الانبياء وتحملوا المشاق وحملوا الانسان مسئولياته عن افعاله وجعلت الجنة والنار عاقبة لاختيارات الانسان (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)...ذلك اساس الدين واساس عمل المؤمن في الحياة (ليبلوكم ايكم احسن عملا) فهو في سباق حول احسن العمل.

لماذا تم الانحراف عن هذا الفهم المباشر الواضح الى مناطق الاشتباه والحيرة ؟

لننظر للنصوص ونقسمها قسمان كبيران سنطلق عليهما (الجبريات والاختياريات) ثم نحاورهما مجتمعات:

الجبريات	الإراديات
(وكل كبير وصغير مستتطر) القمر 51 53	**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**

(كل من عند الله) النساء 78	**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** **قل هو من عند انفسكم**
(من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل..)	**فلما زغوا أزاغ الله قلوبهم**
(وما تشاءون إلا أن يشاء الله ..)	**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**
(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) قيل في اللوح	**سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**
	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين	**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**

يضاف على ذلك اسئلة مثل :

ما اثر الدعاء؟

ما دور المعجزات وخوارق العادات ؟

فكيف نفهم كل ذلك لو اردنا وضع ذلك في نظرية محتملة؟

النظرية المحتملة :

المقصود بالقدر هو النظام الكوني الذي اراده الله للكون وضبطه به فهو قد وضع لحدوث اي امر قدرا من العوامل التي لا يتم الا بها وهذه العوامل تختلف من حال الى حال ولكنها ثابتة المقادير من حيث لزوم اجتماعها في ذلك الفعل لذلك الانسان :

وسنقول ان هناك قدرا اعطي لكل شئ في حدوث الامور في الكون :

1. نظام كوني هو اساس حركة الاشياء وحدوثها هو اصل العمل كما وضعته الارادة الالهي (عادة مطردة) ما لم يخرقها استثناء من الله
2. ارادة الله المطلقة للتدخل متى شاء وكيفما شاء يمكن بها خرق العادة
3. الكون وظواهره ومعطياته
4. الانسان وارادته الحرة
5. الدعاء ودوره في ذلك الحدث ان كان من ظمن شروطه

فلو درس احمد للإمتحان بطريقة ممتازة فذلك ما يتحكم فيه من العوامل وما هو مسئول عنه وما يحاسب يوم القيامة عليه...اما الباقي فهو خارج دائرة تحكمه..فالانسان ليس مخيرا في كل شئ وليس مسيرا في كل شئ ولكن حدود مسئوليته تقف عند حدود ما اعطي من صلاحية وقرار وفق مشيئة الله العليا التي نظمت الكون.

وعلى ذلك يتخرج فهم النصوص الجبرية:

(وكل كبير وصغير مستتطر) القمر 51 53

يعني ان كل النظام الكوني تم وضعه باحكام وفق مقادير وكميات منضبطة

(كل من عند الله) النساء 78

يعني كل هذا النظام الكوني من صنع العليم القدير

(من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل..)

تفهم في ضوء (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) اي أن من بذل الجهد للوصول الى الله هداه الله اليه هداية عون

(وما تشاءون إلا أن يشاء الله ..)

تعني لم يكن لكم اختيار ومشيئة الا بان اعطاكم الله حق الاختيار وبالقدر الذي شاء

(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)

اي وفق القوانين التي نظم بها الكون

ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين

تعني ولكننا لم نشأ ان نجبر الناس على الهداية بل تركناهم مختارين فيكون البعض باختيارهم في الجنة والآخرين في النار بسوء اختيارهم

اما اثر الدعاء :

فقد قلنا انه اعطي قدرا من الاثر في عمل ما لشخص ما في وضع ما..فان توفرت المقادير اللازمة استجيب له وإلا اجل اثره.

ما اثر خوارق العادات:

قلنا ان ارادت الله المستقلة قائمة لا تحول ولا تزول فهو من نظم الكون وهو من الزم نفسه باشياء كتحريم الظلم على نفسه فلا راد لأمره.

الخلاصة :

- امام الانسان ان يلتزم بما هو واضح بين في القرآن من نصوص لا تترك مجالا للشك ان الموازين ستوضع لاعمال الانسان وعليها سيحاسب .
- او ان يوفق بين النصوص فيزيل التعارض بينها لينتهي لفاعلية الانسان ودوره.
- او أن يضرب عرض الحائط بماهو بين وواضح ويضرب النصوص ببعضها البعض فيشل فاعلية الانسان.